

الدرس 7: تونس في الثلاثينات

تمهيد إشكالي

دخلت تونس الثلاثينات وهي تعيش تحت نظام الحماية الفرنسية، في وقت أضعفت فيه الأزمة الاقتصادية العالمية الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، فيما عمّق الاستعمار التفاوت بين التونسيين والفرنسيين وأثار قضايا الهوية والسيادة. وفي المقابل، أخذت الحركة الوطنية تتجدد وتتنظم، وبرزت أشكال سياسية ونقابية وثقافية جديدة. فكيف انعكست أزمة الثلاثينات والسياسة الاستعمارية على المجتمع التونسي؟ وكيف تحولت المقاومة من نشاط وطني محدود إلى حركة أكثر تنظيماً واتساعاً، وصولاً إلى أحداث أفريل 1938؟

أولا: أزمة الثلاثينات وتفاقم التوتر في تونس

1. أزمة اقتصادية ذات أثر اجتماعي مباشر

لم تكن تونس بمنأى عن أزمة 1929؛ فقد ارتبط اقتصادها بالسوق الفرنسية وبالتصدير، فانتقل إليها أثر انكماش المبادلات وتراجع الطلب والأسعار. واشتدت الأزمة في سنوات 1930-1932، ولا سيما في القطاع الفلاحي: انخفضت أسعار الحبوب وزيت الزيتون ومواد أخرى، وتراجع دخل الفلاحين، وأثقلت الديون كاهل صغار المنتجين. وفي سنوات ضعف المحصول

تدهورت أحوال الأرياف ونفقت أعداد من الماشية، كما انتشرت البطالة والفقر والهجرة طلباً للعمل. ولم تتوزع الخسائر بالتساوي؛ فقد تحمل صغار الفلاحين والعمال عبئاً أكبر، بينما ظلت المصالح الاستعمارية والاقتصادية الأجنبية في موقع أقوى.

نقطة تركيز: لا تفسر الأزمة بمجرد «هبوط الأسعار»؛ اربط بين تبعية الإنتاج والتسويق للخارج، وانكماش السوق، وتراجع دخل المنتجين، والبطالة والمديونية، ثم تنامي السخط الاجتماعي.

2. الاستعمار وقضايا الهوية والكرامة

فاقمت السياسة الاستعمارية وقع الأزمة. فقد ظل التونسيون يعانون التمييز في الحقوق والمشاركة، وشعروا بأن سلطات الحماية لا تستجيب لمطالبهم، في حين تواصل دعم امتيازات المستوطنين. وأثار الاحتفال الفرنسي بالذكرى الخمسين لفرض الحماية في ماي 1931 احتجاجاً وطنياً؛ إذ بدا الاحتفاء استفزازياً في مجتمع ما زال يواجه فقدان السيادة. كما غذّت قضايا التجنيس مخاوف المساس بالهوية، وأثارت الصحافة والحركة الوطنية أسئلة الحقوق والانتماء. وهكذا تداخلت المطالب الاجتماعية مع الدفاع عن الشخصية التونسية والكرامة الوطنية.

3. اتساع الصحافة والجمعيات

ساعدت الصحف والجمعيات والأنشطة الثقافية على نشر الوعي وربط المطالب المحلية بقضية وطنية أوسع. ومن الصحف البارزة **«صوت التونسي»**، التي احتضنت نقاشاً سياسياً وطنياً، و**«العمل التونسي»** التي ارتبطت بجيل جديد من المناضلين. كما أسهم النشاط الطلابي والجمعياتي في تكوين جمهور أكثر انخراطاً في الشأن العام. لم تكن هذه الأنشطة بديلاً عن التنظيم السياسي، لكنها وفرت له أدوات للتواصل والتعبئة.

ثانيا: تجدد الحركة الوطنية وتعدد مساراتها

1. من نشاط «العمل التونسي» إلى مؤتمر نهج الجبل (1933)

بعد فتور نسبي، نشط جيل من الوطنيين حول جريدة **«العمل التونسي»**، ومن أبرز وجوهه **الحبيب بورقيبة** و**محمود الماطري** و**الطاهر صفر** و**البحري قيقة**. طالب هذا الجيل بتحرير الشعب التونسي وصيانة شخصيته، ولم يكتف بطرح المطالب؛ بل اتجه إلى تنظيم العمل وتوسيع قاعدته. انعقد مؤتمر الحزب الحر الدستوري التونسي في **نهج الجبل بتونس** **يومي 12 و13 ماي 1933**. وأتاح المؤتمر عرض برنامج سياسي جديد، لكنه كشف أيضاً خلافاً في الأساليب والقيادة بين المجددين وقيادة الحزب الدستوري القديم. كان الخلاف حول كيفية تعبئة الشعب، والوسائل التي تحقق المطالب، ومدى استعداد التنظيم للتغيير؛ ولذلك مهد لانقسام الحركة.

2. تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد (2 مارس 1934)

تبلور الانقسام في مؤتمر **قصر هلال في 2 مارس 1934**، حيث تأسس **الحزب الحر الدستوري الجديد**. مثّل التأسيس انتقالاً إلى تنظيم أكثر اتصالاً بالجماهير، يعتمد الاجتماعات والدعاية والصحافة والتنقل بين الجهات، ويجعل استقلال تونس هدفاً سياسياً معلناً. وأصبح الحبيب بورقيبة من أبرز قادته، إلى جانب محمود الماطري والطاهر صفر والبحري قيقة.

لم يكن ظهور الحزب مجرد تغيير اسم؛ بل عبّر عن اختيار أسلوب تعبئة أوسع، وعن تصور جديد للعلاقة بين القيادة والقاعدة الشعبية. ومع ذلك، فإن اتساع النشاط جلب مواجهة أشد مع سلطات الحماية، كما ظل التنسيق مع القوى الوطنية والنقابية تحدياً قائماً.

3. الحركة النقابية وجامعة عموم العملة التونسية

تطورت الحركة النقابية بالتوازي مع التنظيم السياسي، لأن ظروف العمال من أجور ضعيفة وغلاء وبطالة جعلت المطالب المهنية ملحّة. أُنشئت **جامعة عموم العملة التونسية** سنة **1936**، وبذلت جهوداً لتنظيم النقابات وتوحيد مطالبها. وعُقد مؤتمرها التأسيسي في **27 جوان 1937**، في سياق توسع العمل النقابي واحتداد النزاع الاجتماعي. شاركت الجامعة في الدفاع عن حقوق العمال، لكن علاقتها بالحزب الجديد لم تكن ثابتة أو خالية من التباين؛ فالنقابي قد يركز على شروط العمل، فيما يسعى الحزب إلى توجيه النضال نحو التحرر السياسي. وقد أثبتت التجربة أن الاجتماعي والوطني متداخلان، مع بقاء الحاجة إلى تنسيق واعٍ بينهما.

4. الجبهة الشعبية وأحداث 1938

أثار وصول **حكومة الجبهة الشعبية** إلى الحكم في فرنسا سنة **1936** أملاً في تخفيف القيود وفتح مجال للإصلاح. ورفع الحزب الجديد مطالب شملت إنهاء الامتيازات الاستعمارية وإشراك التونسيين في إدارة شؤون البلاد وإقرار نظام دستوري أوسع. غير أن الوعود والإصلاحات لم تحقق المطالب الوطنية، واستمر التوتر، بالتزامن مع نزاعات اجتماعية وضغوط استعمارية. وفي مؤتمر الحزب المنعقد بتونس بين **30 أكتوبر و2 نوفمبر 1937** تجدد النقاش حول الخط السياسي ووسائل النضال. ثم تصاعدت المواجهة في ربيع 1938: نُظمت مظاهرات كبرى في تونس يوم **9 أفريل 1938** للمطالبة بالحقوق، فقابلتها السلطات بالقوة والاعتقالات. مثلت الأحداث ذروة التوتر، وأعقبتها ملاحقات وتشديد للرقابة على الحركة الوطنية. لم تحقق المظاهرات الاستقلال، لكنها كشفت اتساع التعبئة ومحدودية الإصلاح في ظل الحماية، ورسخت أهمية التنظيم الشعبي.

الخلاصة التحليلية: صنعت الأزمة الاجتماعية والسياسة الاستعمارية بيئة الاحتجاج، بينما وفر تجدد الصحافة والجمعيات والأحزاب والنقابات وسائل التعبئة. لذلك لم يكن تطور الحركة الوطنية خطاً سياسياً منفصلاً عن المجتمع؛ بل تفاعل فيه مطلب السيادة مع مطالب العمل والعيش والهوية.

تمرين 1: موضوع مقالي تاريخي

الموضوع: «أسهمت أزمة الثلاثينات وسياسة الحماية في توسيع الحركة الوطنية التونسية وتطوير أساليبها». حلّل هذه الفكرة مبرزاً السياق الاقتصادي والاجتماعي، ومحطات التنظيم الوطني، وحدود التجربة إلى أحداث 9 أفريل 1938.

الإصلاح النموذجي والمنهجية

المقدمة: نحدد الإطار: تونس تحت الحماية في الثلاثينات، بالتزامن مع أزمة عالمية انعكست على الاقتصاد والمجتمع. ثم نصوغ الإشكالية: كيف تفاعل أثر الأزمة مع السياسة الاستعمارية، وكيف دفع ذلك إلى تطور الحركة الوطنية؟

الجوهر: يبدأ الاستدلال ببيان الأثر السببي للأزمة: تبعية التصدير والأسعار، تراجع مداخيل الفلاحين والعمال، المديونية والبطالة، واتساع الفقر. ثم نربط ذلك بالتمييز الاستعماري وقضايا الهوية والذكرى الخمسينية سنة 1931، وبالدور التعبوي للصحافة والجمعيات. بعد ذلك نعرض التحول التنظيمي بترتيب زمني: نشاط «العمل التونسي» ومؤتمر نهج الجبل في ماي 1933؛ انقسام الحركة وتأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد في قصر هلال في 2 مارس 1934؛ ثم نمو العمل النقابي وتأسيس جامعة عموم العملة التونسية سنة 1936 ومؤتمرها سنة 1937. نختم بتقييم تجربة الجبهة الشعبية ومطالب الحزب، وتصاعد المواجهة وصولاً إلى مظاهرات 9 أفريل 1938. ويجب تفسير كل محطة، لا الاكتفاء بسردها: فالأزمة وسعت قاعدة السخط، والتنظيم الحديث حول السخط إلى عمل وطني، لكن القمع وحدود الإصلاح حالا دون تحقيق المطالب.

الخاتمة: نستنتج أن الثلاثينات كانت مرحلة ترسخ فيها الوعي الوطني واتسعت أدوات المقاومة، رغم أن الحصيلة المباشرة لم تكن نيل الاستقلال. لا نضيف أحداثاً من خارج الموضوع، ونجيب صراحة عن الإشكالية.

تمرين 2: تحليل نص تاريخي تعليمي

الوثيقة الآتية صياغة تعليمية تركيبية لأغراض التدريب وليست اقتباساً من شخص أو مصدر تاريخي: «شهدت تونس في أوائل الثلاثينات تراجعاً في عائدات الفلاحة واشتداداً للبطالة والديون، فارتبطت المطالب الاجتماعية باعتراض أوسع على التمييز الاستعماري. ونشط الوطنيون عبر الصحافة والتنظيمات، ثم أسس المجددون حزباً جديداً سنة 1934. وتزامن اتساع التعبئة السياسية مع العمل النقابي، لكن السلطات لم تستجب للمطالب بالقدر الذي يبدل واقع الحماية، فتصاعد الاحتجاج وانتهى ربيع 1938 إلى مظاهرات وقمع واعتقالات».

الأسئلة: 1) عرّف موضوع الوثيقة وإطارها الزمني. 2) استخرج مظهرين للأزمة ومظهرين لتطور التنظيم الوطني. 3) فسّر كيف التقت المطالب الاجتماعية والوطنية، مع الاستشهاد بمحطتين مؤرختين. 4) بيّن حدود الاستدلال بهذه الوثيقة، ثم اربطها بمعرفة تاريخية مناسبة.

الإصلاح النموذجي

1. تتناول الوثيقة آثار أزمة الثلاثينات وتطور الحركة الوطنية التونسية؛ وإطارها من مطلع العقد إلى أحداث 1938. وهي نص تركيبي يبرز صلة التدهور الاجتماعي بتنامي الاحتجاج السياسي.
2. من مظاهر الأزمة تراجع عائدات الفلاحة واشتداد البطالة والديون. ومن مظاهر تطور التنظيم تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد سنة 1934 واتساع العمل النقابي، الذي تجسد في جامعة عموم العملة التونسية سنة 1936 ومؤتمرها سنة 1937.
3. تضرر الفلاحون والعمال من الأزمة، في حين واجهوا نظاماً استعمارياً يحد من مشاركتهم ويكرس التفاوت؛ لذلك ارتبطت المطالبة بتحسين العيش بالدفاع عن الحقوق والسيادة. نستدل بمؤتمر نهج الجبل (12-13 ماي 1933) وتأسيس الحزب الجديد (2 مارس 1934)، ثم بمظاهرات 9 أفريل 1938 بوصفها دليلاً على اتساع التعبئة ورد السلطة القمعي.
4. الوثيقة موجزة وتركيبية؛ لا تقدم إحصاءات ولا أسماء تفصيلية ولا تشرح اختلاف المواقف داخل الحركة أو مطالب كل تنظيم. لذا تُستكمل بمعرفة الكتاب عن دور الصحافة والجمعيات، وحكومة الجبهة الشعبية سنة 1936، وتأسيس جامعة عموم العملة ومؤتمرها. منهجياً نبدأ بتقديم الوثيقة، ثم نستخرج ونفسر، ونستشهد بمعرفة خارجها دون أن ننسب إليها معلومات لم ترد فيها.

نصائح امتحانية عملية

- رتّب المحطات على خط زمني: 1931، ماي 1933، 2 مارس 1934، 1936، 1937، 9 أفريل 1938.
- في المقال، ابنِ فقرات سببية: الأزمة ← التضرر الاجتماعي ← الاحتجاج والتنظيم ← المواجهة والنتائج.
- عند تحليل وثيقة، ميّز بين ما تقوله مباشرة وما تستنتجه، وادعم التفسير بتواريخ وأسماء دقيقة.
- لا تساوِ بين الحزب والنقابة: اشرح اختلاف الوظيفة مع بيان تقاطع النضال الاجتماعي والوطني.
- تجنب الحكم بأن أزمة الثلاثينات وحدها «سببت» الحركة الوطنية؛ فهي عامل محفز تفاعل مع الاستعمار وتراكم التنظيم والوعي.

كلمات مفتاحية

- **الحماية:** نظام فرضته فرنسا على تونس سنة 1881، أبقى مظاهر محلية للحكم مع تحكم استعماري فعلي؛ وهو الإطار السياسي للدرس.
- **الأزمة الاقتصادية العالمية:** انكماش دولي بدأ سنة 1929؛ انعكس في تونس على الإنتاج والأسعار والتصدير والدخل، ولا سيما في الفلاحة.
- **الحزب الحر الدستوري الجديد:** تنظيم وطني تأسس في قصر هلال في 2 مارس 1934، واتجه إلى تعبئة جماهيرية أكثر نشاطاً والمطالبة بالتحرر.
- **جامعة عموم العملة التونسية:** إطار نقابي تونسي تأسس سنة 1936، نظم مطالب العمال وعقد مؤتمره التأسيسي سنة 1937.
- **الجبهة الشعبية:** ائتلاف حكم في فرنسا سنة 1936 ارتبطت به آمال إصلاحية، لكن سلطات الحماية لم تحقق المطالب الوطنية التونسية.
- **التعبئة الوطنية:** تنظيم الوعي والمشاركة عبر الصحافة والاجتماعات والجمعيات والأحزاب والمظاهرات، لا مجرد إعلان موقف سياسي.

ملخص مراجعة سريع

أضرت أزمة 1929-1932 بالفلاحة والأسعار والدخل، فتفاقمت البطالة والديون والفقر. وزاد الاستعمار التوتر بالتمييز وتقييد المشاركة وإثارة قضايا الهوية؛ وأسهمت الصحافة والجمعيات في نشر الوعي. شهدت الحركة الوطنية تجديداً حول «العمل التونسي»، ثم مؤتمر نهج الجبل (12-13 ماي 1933) والانقسام الذي أفضى إلى تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد (2 مارس 1934). وامتد النضال إلى النقابات مع تأسيس جامعة عموم العملة التونسية (1936؛ مؤتمر 1937). لم تلب الجبهة الشعبية المطالب، وتصاعدت المواجهة إلى مظاهرات 9 أفريل 1938 وقمعها. الدلالة: ترابط الاجتماعي والوطني واتساع التنظيم، مع استمرار عائق الاستعمار.

المصدر

كتاب التاريخ للسنة الرابعة ثانوي (الآداب والاقتصاد والتصرف)، الدرس 7 «تونس في الثلاثينات»، الصفحات المطبوعة **118-134**.



مشهد تاريخي مُعاد تمثيله بصرياً لأغراض تعليمية، وليس تسجيلاً فوتوغرافياً أصلياً.



إعادة تمثيل تاريخية تعليمية مولّدة للسياق، وليست صورة أرشيفية.